

النبي

الهجين

شعر / مقبل عبد العزيز العيسى

سألتني .. كيف تخشى الفكر!! والفكر
نبض عقل .. لم يزل يلهمنا
يبدع الفكر ..!! فهل نرفضه؟؟
كل .. ما في الكون من سر دفين!!
ونلاقيه .. بتقطيب .. جين؟؟

وهو للعقل ثمار .. والرؤى
بل هو النور .. الذي ينقذنا
فإذا الفكر اشتكى من عنت
كيف تخشى نبض فكر للورى؟؟
من يكن .. للفكر يوماً جاحداً
فهو للجهل .. حليف ورهين!!

قلت .. يا نفع الشذى في وطني
لا ألوم الطيب .. ييدي جزعاً
أي حرف ضم فكراً واعياً
ما اجتويت الفكر حرّاً واعياً
ينزف الاحساس مني ألماً
أن جرح الطيب مني باليمين!

لست أخشى الفكر أبى عنتاً!!
غير أني .. أجتوي الفكر الذي
الرؤى منه غيوم .. كالدُّجى
وثبة الفكر .. وتحديث النهى
وانطلاق الفكر عندي .. قدر
فالذي يبني .. جسوراً لغدٍ
فمدى عمري إباء .. لا يلين!!
يستقي من غربه .. من تزعمين!!
تبتغي نفس تراثي .. كل حين!!
عنده للنشء .. من نبع .. هجين!!
يجتبي نبعاً .. على الجذر أمين!!
غير من يسعى لتخريب السفين!!

كل فكر .. أرتجيه لغدٍ غير فكر صيغ .. من حقد دفين!!

مفهوم القصة القرآنية

د / يوسف حسن نوفل

حقق القصص القرآني غايات سامية في إطار ما صوّر من المواقف، وما تضمنه من معنى، وكان في ذلك مثلاً أعلى في عرض حقائق التاريخ، وفي الإشارة إلى معالم تاريخ البشرية، وصور سلوكها، وتأمّل مواقف الأمم، برجالها ونسائها، بما في ذلك من خير وشر، صلاح وفساد، وكان لهذا الفن القصصي فضل الكشف عما طمسته الأيام والسنون، ومحاة النسيان والتقدم، «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك» [١٦٤ - النساء].

- «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. كذبت قوم لوط» [٣٢- القمر].
- «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. ولقد جاء آل فرعون النذر» [٤٠- القمر].
- وعلاوة على أن هذه الآيات كلها مكية، نجدها كلها في سورة القمر، ثم تتكرر في السورة عبارات عن «كذب» هؤلاء الأقوام، وسوق العذاب والنذر لهم، كل ذلك في سورة عدد آياتها ٥٤ آية.
- وهذا المنهج القصصي التذكيري، يتلاءم مع المنهج القرآني العام، المتمثل في الهداية والرحمة والإبانة:
- «فإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» [٢٠٤- الأعراف].
- «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» [٩- الإسراء].
- «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين» [٨٢- الإسراء].
- «إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» [٦٩- يس].
- «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس» [١٨٥- البقرة].
- والاتباع:
- «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه» [١٨- القيامة].
- والتذكير:
- «سنقرئك فلا تنسى» [٦- الأعلى].
- «ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليدّكروا» [٤١- الإسراء].
- «ص والقرآن ذي الذكر» [١- ص].
- «فذکر بالقرآن من يخاف وعيد» [٤٥- ق].

ولم يكن ذلك الاستدعاء التاريخي لبعض مظاهر القديم في جوانب منه ضرباً من التذكير العارض، أو التشويق السطحي، بل كان مثار توجيه ونصح وإرشاد، وموطن تذكير لأولي الألباب، ومثابة تقوية للعزيمة والهمة، فهو يؤنس الرسول الكريم ﷺ، ويسلّيه، قال تعالى: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»، وقد كانت هذه الآية آخر آية في سورة يوسف، بعد أن استغرقت قصة يوسف السورة كلها، باستثناء آيتي الافتتاح، وباستثناء ما سبق الآية الأخيرة بدءاً من قوله تعالى تعقيباً على قصة يوسف: «ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون» [١٠٢ - سورة يوسف].

وقامت القصة القرآنية بمهمة جليلة. هي التذكير العملي الواقعي الحي، تطبيقاً لقول الله تعالى: «فذکر بالقرآن من يخاف وعيد» [٤٥ - ق].

ومنهج التذكير هذا، يتجلى في القصة غايةً ووسيلةً معاً، وليس أدل على ذلك من تتبع ظاهرة عامة، في معظم قصص الأمم السابقة البائدة، هذه الظاهرة، هي بدء القصة بالعبرة منها، وهي الأذكار والاتعاظ، فهذه جملة قرآنية تتكرر في القرآن الكريم أربع مرات وهي: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر».

نراها في أربع صور في قصة أربع أمم هكذا.

- «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. كذّبت عاد» [١٧- القمر].
- «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. كذبت ثمود» [٢٢- القمر].

﴿وقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ [١٠٦-الإسراء].

وضرب المثل:

﴿وقد صرّفنا في هذا القرآن من كل مثل﴾ [٨٩-الإسراء].

﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ [٥٤-الإسراء].

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ [٥٨-الروم].

والتدبر، وتثبيت الفؤاد:

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ [٨٢-النساء].

﴿لقد كان في قصصهم عبرة﴾ [١١١-يوسف].

﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ [١٢٠-هود].

والإنذار:

﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ [١-ق].

﴿وصرّفنا فيه من الوعيد﴾ [١١٣-طه].

﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربياً لتنذر أم القرى﴾ [٧-الشورى].

﴿وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به﴾ [١٩-الأنعام].

هذا إلى جانب التعقل والتفكر، والعلم،... والإنذار:

﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾ [١٠١-الأعراف]، ومثلها [٩٩-طه].

وهذا المنهج المتكامل من استحضار الأحداث والعبر، والتذكير، وتسليّة الرسول وإيناسه والهداية والرحمة والإبانة، والإتباع، وضرب المثل، والتدبر، والإنذار وغير ذلك من أسرار المنهج الإلهي العظيم، استدعى أن يستند هذا الأسلوب العظيم، على مصطلح له اشتقاقه المناسب مع الغوص في أعماق التاريخ، وتأمل سلوك الأمم والملوك والرعايا بما في ذلك من قص الأثر وتبعه والنظر فيه: قصص الأثر، واقتصصته، وتقصصته، وخرجت في أثر فلان قصصاً، قال تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ [١١-القصص]، ﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتداً على آثارهما قصصاً﴾ [٦٤-الكهف].

ولقد أشرنا إلى الآية الأخيرة من سورة يوسف ﴿لقد كان في قصصهم...﴾، وكانت الآية الثالثة: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص...﴾، ويأتي التعبير نفسه مع سورة تشابه مع سورة يوسف في اهتمامها بعرض قصة متكاملة تستغرق آيات السورة في معظمها، مع مقدمات وخواتيم موجزة، هذه السورة هي سورة الكهف، التي تبدأ القصة منذ الآية التاسعة بعد التمهيد الضروري، حتى الآية ٢٦، ثم ترد قصص أخرى، وفي أثناء ذلك نجد قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ [١٣-الكهف].

وتتوالى آيات القص:

في القصص القرآني تقوية

للهم وتوجيه ونصح وإرشاد

﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ [٧٦-النمل].

﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ [١٧٦-الأعراف].

﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ [٢٥-القصص].

﴿قصصنا عليك...﴾ [١١٨-النحل]، [٧٨-غافر].

﴿قصصناهم عليك...﴾ [١٦٤-النساء].

وحلت سورة من سور القرآن الكريم اسم «القصص» وعدد آياتها ٨٨ آية.

وكان القصص الديني عملاً من رسالات الأنبياء، له غايته السامية العظيمة:

﴿لم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾ [١٣٠-الأنعام].

﴿إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾ [٣٥-الأعراف].

﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ [١٧٦-الأعراف].

وفي تأمل هذه الآيات التي تضمنت غايات القص وغيرها، تبين ارتباط القص بغايات مهمة هي: «الحديث، والنبأ، والخبر» ومن «الحديث»:

﴿وهل أأتاك حديث موسى﴾ [٩-طه].

﴿ونحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ [١٣-الكهف].

ومن الخبر:

﴿...ونبلو أخباركم﴾ [٣١-محمد].

وهكذا نقف على معنى القصص القرآني المرتبط بغاية سامية، والمستند إلى مادة وفيرة، عمرها القرون المتعاقبة، وأن الحدث والحديث، والخبر، والنبأ فيها هو مما يعجز عن استيعابه راو أو قصاص من البشر؛ لأنه يتطلب الاستقصاء إلى أبعد مدى، والتوغل إلى أقصى غاية؛ توظيفاً لهذا الاستدعاء التراثي البعيد، في تبليغ الرسالة، وتأدية الأمانة، وأمانة النبي الذي اشتق لقبه من مادة النبأ والإنباء، وهي جزء من صميم القصص حيث:

(أنباء القرى) [١٠٠-هود]، (أنباء الغيب) [٤٩-هود]، (وأنباء موسى) [٣-القصص]، (وأنباء أهل الكهف) [١٣-الكهف] و«أخبار» أولئك جميعاً وغيرهم.